بعض خصائص الكتابة التاريخية عند العرب

د. وجيه كوثراني

١ـ العوامل الاولى في التاريخ العربي القديم :

ثمة « ثابتة » اضحت معروفة للجميع وهي ان « علم التاريخ » عند العرب ارتبط في نشأته وتطوره بالعلوم الدينية الاسلامية من فقه وتشريع و « حديث » و « تفسير » ، واندمج بالمعارف الثقافية ومناهجها التي استمرت منذ مرحلة ما قبل الاسلام ، بل وتعزز بعضها مع نشوء الدولة الاسلامية وتنظيم جهازها ، كالاهتمام بالانساب وروايات « ايام العرب » وتناقل « الاخبار » اللغوية والادبية والقصصية المختلفة .

وقد درس الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه « بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب » هذه الظاهرات التي كونت خلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة اسس الكتابة التاريخية العربية ، فحاول ان يرى في اصول تكونها ، انطلاقا من تصنيف طبيعة النزعات الايديولوجية والاهتمامات السائدة ومن الفروقات في « البيئات السياسية » التي برزت فيها، **اتجاهين** اطلق عليهما : **الاتجاه الاسلامي والاتجاه القبلي** . يقول في هذا التصنيف : « سارت الدراسات التاريخية في بداياتها في اتجاهين عامين متميزين الواحد عن الاخر : اتجاه اهل الحديث ، والاتجاه القبلي الذي كان لحد ما استمرارا للفعاليات القبلية السابقة . وهذان الاتجاهان يعكسان تيارين اساسيين في مجتمع صدر الاسلام ـ الاتجاه الاسلامي والاتجاه القبلي ـ اثرا في مختلف جوانب الحياة . وتمثل النشاط في كل من الاتجاهين في مصر من الامصار، فكانت المدينة ـ مهد الاسلام ـ المركز الاول لاتجاه اهل الحديث ، بينما كانت البصرة والكوفة ، مقرا الحاميات القبلية وموطنا التقاليد القبلية ، تشغلان المركز الاول للاتجاه القبلي » (١) .

هذا التصنيف، وان بدا بعباراته المستخدمة في هذا النص على شيء من التبسيط ، يعبر في الواقع عن ملاحظة على قدر كبير من الاهمية . فالدكتور الدوري يلتقط في محاولة التصنيف

(١) د. عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ـ ص ١١٨ .

هذه عاملين مهمين من عوامل فرز الاتجاهات في تكون الكتابة التاريخية العربية الاولى واساليبها المنهجية ، وهما العامل الايديولوجي والعامل السياسي . فيجعل منهما مقياسين لتصنيف الاتجاهات وتحديد الخصائص . وهو بهذا يقترب من تلمس واقعة تكون التاريخ العربي الاسلامي **كايديولوجيا** . **فالمدينة** ـ مركز الاتجاه الاسلامي او اتجاه اهل الحديث على حد تعبير الدكتور الدوري ـ شكلت مركز صياغة الايديولوجيا الاسلامية « الرسمية » . **والامصار** ، ولا سيما العراق ، شكلت مركز **الصراعات السياسية** التي دارت **حول مسالة حسم السلطة** .. وقد التقت هذه العوامل السياسية والايديولوجية في عملية نشوء الدولة الاسلامية وانبناء قواها وفئاتها . فالقبائل العربية ، جنود الفتح ومعمروالمدن او مستوطنوها الجدد ، كانوا اداة الصراع السياسي والعسكري بين القوى المتصارعة على السلطة ... اما فقهاء المدينة فكانوا « المنظرين والايديولوجيين » .

التواريخ العامة « الرسمية » :

وهكذا بدأ ينشأ على قاعدة هذا اللقاء تاريخ « رسمي » للدولة الاسلامية ، تاريخ يرتكز الى احتواء المكونات الايديولوجية والسياسية التي رافقت عملية بناء الدولة ، مع كل ما رافق هذه العملية من صراعات بين القوى الاجتماعية ـ السياسية المختلفة (١) ، الى **احتوائها** في منطق ايديولوجي مهيمن . هذا يعني ان جمع الحديث وتحقيقه و «التفسير»، ورواية «الخبر» من «سيرة» و «مغاز» ومعارك قامت بين الاحزاب المتصارعة ، واهتمام بملاحقة « النسب » على اساس « الاسبقية » في الاسلام (لهذا الاهتمام علاقة ترتبط «ببيت المال» و «توزيع الثروة» ، وبالتالي بالسلطة مما كان من شأنه ان يعين مدى اتساع « الطبقة الحاكمة » وحلفائها) كل هذا شكل اساس تكوّن خط تأريخي منهجي يخضع لحاجة الايديولوجيا المهيمنة ارتسم خلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، أي بالتحديد خلال تكوّن الدولة الاسلامية بأجهزتها ومؤسساتها . هذا الخط نجده مهيمنا فيما يسمى « بالتواريخ العامةالعالمية » والتي بدأت تظهر بشكل واضح ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة على يد اليعقوبي وابن قتيبة والدينوري ، وبصورة اكمل على يد الطبري . فهذا الاخير يمثل ، كما يقول الدكتور الدوري، «قمة ما وصلت اليه كتابة التاريخ عند العرب في فترة التكوين » .

الموضوع والمنهج وانحباسهما في اطار الايديولوجيا :

هذا الاكتمال في الخط التكويني للكتابة التاريخية العربية والذي نجده متمثلا في « تاريخ الرسل والملوك » هو اكتمال بحد ذاته للايديولوجيا الرسمية للقوى الحاكمة (الحق الالهي للسلطة واعتبار التاريخ تحقيقا لمشيئة الله) ، واكتمال بالتالي لمنهج في رواية الخبر ونقله وتحديد حيز موضوعه ارتكازا الى مبدأ «اخلاقي» (ديني وقبلي) عرف في تراثنا بصيغة « الثقة بالناقلين » ، وهي الصيغة التي انتقدها ورفضها ابن خلدون فيما بعد .

(١) من الصعب ، وذلك بسبب غياب الدراسة حول هذا الموضوع ، تحديد الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للقوى المتصارعة على السلطة .

صحيح ان مصطلح الحديث وعلم الاسناد قد تضمنا اصولا وقواعد « صارمة » للضبط والتحقيق وتحديد اوجه هذه الثقة .. لكن اشكال « الضبط » هذه ظلت حبيسة النظرة الايديولوجية للواقع . فبالرغم من صرامتها « الموضوعية » التي لفتت انظار المستشرقين كما يلاحظ ذلك عبدالله العروي (١) ؛ حددت الايديولوجيا السائدة توجها في تعيين الموضوع والمنهج. فهدف **الموضوع التاريخي** هو مصلحة « الامة »و « الجماعة » ووحدتهما المتمثلة بهيمنة طبقية الدولة وايديولوجيتها السائدة : الاسلام « الرسمي » القائم على « الاجماع » . **والثقة** عماد المنهج تقاس بمدى الانتماء الى هذه الايديولوجيا. يقول الغزالي : « ولا خلاف في ان رواية الكافر لا تقبل لانه متهم في الدين وان كانت تقبل شهادةبعضهم على بعض عند ابي حنيفة ... » (٢) . ولذلك يتوجه النقد **للراوي** ومدى صدقه وخطه وعدالته ، وكذلك **لشكل الرواية ولفظها ، وليس الى مضمون الرواية ومحتواها** ؛ لان الموضوع هو دائما **خبر ديني** او يدور حول الدين وان كانت له وظيفة سياسية او بعد سياسي .. انه دائما يحمل طابع التبرير ، اي هو **ايديولوجي** في نهاية التحليل .

وقد عبر الطبري عن هذا الاكتمال التكويني للكتابة التاريخية العربية **منهجا وموضوعا** بعبارات صريحة . يقول : « وانا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان ، من (لدن) ابتدا ربنا جل جلاله خلق خلقه الى حال فنائهم ، من انتهى الينا خبره ممن ابتداه الله تعالى بآلائه ونعمه نشكر نعمه ؛ **من رسول له مرسل او ملكمسلط او خليفة مستخلف** ، فزاده الى ما ابتداه به من نعمه في العاجل نعما ، والى ما تفضل به عليه فضلا ، ومن اخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخرا . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتداهبه من نعمه ، وعجل له نقمه . ومن كفر منهم نعمه فمنعه بما انعم به عليه الى حين وفاته وهلاكه ؛مقرونا ذكر كل من انا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه ، وجمل ما كان من حوادث الامور في عصره وايامه .. » (٣) .

اذن : السلطة حق الهي ، والتاريخ تحقيق لمشيئة الله عبر الرسل والملوك والخلفاء .. تلك هي موضوعات الطبري ، شفافة في استخدامها الايديولوجي (الديني ـ الرسمي ـ الى ابعد الحدود .. والمنهج الذي يتطلبه هذا الاستخدام هو منهج « الحياد » المفتعل حيال الروايات . و « الحياد » هنا يعني «الاعتدال» و «الوسطية» وذكر **كل شيء** ، ما عدا الاسباب والمسببات « البشرية » ، ويعني ايضا وبالتالي « عدم الاختيار » و « عدم الانحياز » الى اية رواية (٤) وبالتالي الى اي قوى اجتماعية ـ سياسية في المجتمع .

---

(١) العرب والفكر التاريخي ، ص : ٩٢ .

(٢) ورد في : منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الاوروبي ـ الدكتور عثمان موافي ، ص : ٥١ .

(٣) تاريخ الطبري ، الجزء الاول ، ص : ٦ طبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

(٤) قد ترجح رواية على رواية ، ولكن الترجيح لا يتناول مضمون الرواية ـ وانما شكلها (لفظها) ، وطريقة نقلها واسنادها ورواتها .

وتلك كانت وظيفة **الايديولوجيا المهيمنة للدولة العباسية** التي حاولت ان تسن « سياسة تعايش بين الجماعات المتصارعة وذلك بادماجها تدريجيا في حظيرة الدولة وبالمساهمة في استغلال الثروة والنفوذ » (١) . فالمؤرخ « الرسمي » يحرص على وحدة الامة . لذلك نراه يعتمد مقياسا « لقبول اقوال الناس وهو عدم الغلو في الآراءوالاحكام . يعتمد خاصة رجال الاعتدال الذين لا يسبون ولا يلعنون ، ولا يفسقون ولا يكفرون بدون تاويل ،حرصا على وحدة الامة » على حد تعابير العروي (٢) .

وهذا « الاعتدال » يتطلب ايضا ارتدادا نحو الايديولوجيا الدينية (التاريخ تحقيق لمشيئة الله) ، لتحدد هذه الاخيرة بدورها **استبعادا للعقلانية** ، اي للتعليل الملموس ، استبعادا لسؤال : لماذا ؟ وكيف ؟ حصل ما حصل «بشريا»؟اي عقلانيا . وللهروب من السؤال تلقى المسؤولية على **السلف** اي على النقل والنقلة . ويبرر الطبري هذا المنهج بقوله : « وليعلم الناظر في كتابنا هذا ان اعتمادي في كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت اني راسمه فيه ، انما هو على ما رويت من الاخبار التي انا ذاكرها فيه والآثار التي انا مسندها الى رواتها فيه ، **دون ما ادرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه** ، اذ كان العلم بما كان من اخبار الماضين ، وما هو كائن من انباء الحادثين ، غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، **الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس.** فمايكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، او يستشنعه سامعه ، من اجل انه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا . **وانما اتي من قبل بعض ناقليه الينا ، وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادي الينا** » (٣) .

وحتى بالنسبة للتاريخ ذات الايديولوجيات المعارضة والمتطرفة منها في عدائها للسلطة ، فقد حافظت هي ايضا وبشكل من الاشكال على **السمات المنهجية العامة** نفسها .

فلا فرق يذكر من حيث المنهج بين مؤرخ «سني» و «علوي» او بين «معتزلي» و«اشعري» او بين «خوارجي» و «مرجئي» ... انه **سجال ايديولوجي** تستخدم فيه اسلحة المنطق وعلم الكلام للدفاع عن **وجهة نظر** هي في نهاية التحليل سياسية . وعلى هذا المستوى (السياسي) لا نلمس ولا نرى موقع الفئات الاجتماعية التي تدخل فعليا (تاريخيا) في حركة الصراع . لذلك يبقى التاريخ حكرا على « ايديولوجيي » الفرق ، شانهم في ذلك شان « المؤرخين الرسميين » من حيث اعتماد التدقيق في الروايات والاسانيد وتمثل « الموضوعية » و « الحياد » و « الاعتدال » .

اي فرق نلاحظ بين البلاذري الذي كان على اتصال بالعباسيين ، وبين اليعقوبي ذي

---

(١) العروي ص ٨٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٨ .

(٣) تاريخ الطبري ، ص ٨ .

« وجهة النظر الامامية » ؟ يلاحظ الدكتور الدوري ان البلاذري « رغم اتصاله بالعباسيين (فانه) محايد في اخباره ومتزن ، فهو يفسح المجال لكافة الروايات ويحاول بصورة جدية ان يكون موضوعيا في اخباره » . ويورد الملاحظة نفسهابالنسبة لليعقوبي : « نلاحظ ان اليعقوبي متزن في اخباره وانه بصورة عامة دقيق فيما اورد من معلومات » (١) .

السبب في هذا القاسم المشترك بين مؤرخين مختلفي الميول « السياسية » يكمن ، في ما يشير اليه العروي ، في استخدام المؤرخ العربي « لمنهج ذكي جدا هو منهج الاعراض والتناسي ». فاليعقوبي « في حديثه عن الراشدين والامويين يظهر ـ كما يقول الدوري ـ ميولا علوية احيانا، ويسهب في ذكر اقوال الائمة وخطبهم ويعطي سيرهم عند ذكر وفياتهم (...) . وفي حديثه عن العباسيين ـ يكمل الدوري ـ يظهر شيئا من التسامح او المجاملة . وهو يورد روايات عباسية في اخباره ، كما ان حديثه عن المهديالعباسي يعكس بصورة هادئة شيئا من دعايات العباسيين في ان هذا الخليفة «مهدي» ينشر العدل ، وحين يتناول بعض الحوادث المحرجة للعباسيين مثل مقتل ابن هبيرة وابي مسلم وسقوط البرامكة يقدمها بصورة مناسبة . بل انه حين يتطرق الى وفاة الامام موسى الكاظم يكتفي بذكر البيان العباسي » (٢) .

وحتى بالنسبة لمؤرخ معتزلي ، **كالمقدسي** (القرن الرابع الهجري) الذي يراه روزنثال **حالة فريدة** من حيث ادخاله « الموضوعات الفلسفية » في الكتابة التاريخية ، فان منهجه ينحبس في الصعيد الايديولوجي الديني حيثيغيب الصعيد السياسي غيابا كاملا . فالتاريخ لدى المعتزلة هو تاريخ تنقية الافكار الدينية مماعلق بها من حكايات وروايات مشوهة ارتبطت بأذهان العامة . ويلاحظ الدكتور طريف الخالدي الذي درس علاقة التأريخ عند المقدسي بالاعتزال ، ما يلي « فالدين عند العامة قد يستولي عليه القصاص او ذوو السذاجة فلا يعرف المسلم عن تاريخ دينه سوى هذه الحكايات والروايات التي يرويها هؤلاء وما هي الا تشويه لبعض قصص القرآن والحديث . ومن وجهة نظر المعتزلة فان هذا التشويه التاريخي يفسح المجال امام الملحدين والفساق والباطنية ليدخلوا من هذا الباب فيفسدوا على المسلم دينه وايمانه تدريجيا وينزلقوا به الى الزندقة بمعناها العريض ، ومن هنا فعلم الكلام هو درع الاسلام ضد هجمات الهراطقة وواجب على المؤرخ ان يكتب التاريخبدقة المتكلم واعتنائه ومنطقه وهذا ما فعله المقدسي » (٣) .

وهكذا ، وبالرغم من علاقة شتى الفرق الاسلامية بمسألة السلطة ، وهي في النهاية **علاقة** سياسية ، نلاحظ غيابا كاملا في طرح موضوعات الصراع الاجتماعي واشكاله لدى مؤرخي

---

(١) د. عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص : ٥٠ ـ ٥٢ .

(٢) د. عبد العزيز الدوري : ص : ٥٣ .

٣) الدكتور طريف الخالدي : دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي ، ص : ٥٤ .

الفرق . فمنطق الايديولوجيا في السلطة القائمة يفرض نفسه على منطق الايديولوجيات الاخرى المعارضة سياسيا .

ويأتي ابتداء من القرن الرابع للهجرة ، اسلوب « التقية » ، كشكل من اشكال العمل السياسي السري ليزيد من القطيعة بين الصعيدين الايديولوجي والسياسي . فباطن الامر غير ظاهره ؛ ويصبح التاريخ بذلك رموزا لا يفقهها الا قلة من القياديين « السريين » ، والظاهر تمويهات واشكال من التلبسات لجمهور من « العامة » يصعب تحديد « هويتها الطبقية » وطبيعة علاقتها السياسية بالسلطة .

محاولة لتفسير « ايديولوجية » التاريخ العربي :

بالطبع ، لن تستقيم هذه الملاحظات التي تؤكد على تشابه **منطق الايديولوجيات** في الكتابة التاريخية العربية الا على قاعدة تحليل التشكيلات الاجتماعية للتاريخ العربي والاسلامي ، وهو تحليل نلمس بدايات له في جهود سمير أمين ، ومحاولة ايف‌لاكوست في كتابه عن « ابن خلدون» ... ففي « التشكيلات الشرقية والافريقية » القائمة بشكل اساسي على « نمط الانتاج الخراجي » ، تعتمد « الدولة ـ الطبقة » في قيامها وازدهارها على الفائض المنقول من الخارج عن طريق السيطرة على طرق التجارةالبعيدة . ولذلك يتكون التحالف الحاكم تبعا لذلك من رجال البلاط وتجار المدن من جهة ،والقبائل الموالية للسلطة من جهة ثانية . وهذا بدوره يحدد نوعا من الصراع السياسي المتمحور حول استلام السلطة ، والذي قاعدته كما يحددها ابن خلدون هي «العصبيات القبلية» : « فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة ... » .

وفي التحليل الذي يقدمه لنا ابن خلدون عن نشوء الدولة وزوالها ، تبدو لنا المراحل التاريخية « دورات » تتكرر . بيد ان هذا التكرار ليس «سكونيا» ، انه تعبير عن نزاعات اجتماعية بين فئات **تتشابه في طبيعتها** ، اي في انخراطها في انماط انتاج تتمفصل عند نمط الانتاج الخراجي المهيمن حيث يكون الفائض في غالب الاحيان منقولا من الخارج . يقول ايف لاكوست في ذلك : « ان النزاعات لكثيرة في هذا المجتمع الشمال افريقي ، ولكن الامر لا يتعلق اساسا بالصراعات الطبقية . وبالفعل ليس ثمة وجود لتناحر اساسي بين التجار وبين رؤساء القبائل. ان زيادة ارباح الاول لا يصطدم بمصالح الاخرين القادرين ايضا على المساهمة بالتجارة الكبيرة . ان النضالات الناجمة عن جباية الضرائب لكثيرة، لكن الامر لا يتعلق الا بنزاعات **بين فئات ذات طبيعة واحدة** . فالقبيلة السائدة ليس لها ، من حيث النوع ، خصائص تختلف عن خصائص القبيلة المسودة . » (١) .

---

(١) ايف لاكوست : ابن خلدون ، ترجمة د. ميشال سليمان ، ص ٣٢ .

وهذا التحليل ينطبق الى حد كبير على «الكتل» و « الفرق» التي استلمت السلطة المركزية او اسست لنفسها سلطات مستقلة او ناضلت في سبيل تأسيس سلطات لها في المشرق العربي . فالبويهيون ، والسلاجقة ، والمماليك ، والايوبيون والاتراك العثمانيون ... هم «اجناد» استولوا على السلطة من **موقع عسكري** ، شأنهم في ذلك شأن **القبيلة** ذات الوظيفة العسكرية في الدولة . ولم يتغير في كل مرة يصعد فيها اي من هذه القوى ، اي شيء اساسي في طبيعة «الدولة ـ الطبقة» ودورها في تنظيم الانتاج : اقطاع الارض لجباية الضرائب وحماية طرق المواصلات للتجارة البعيدة .

هذا التشابه في طبيعة السلطة ووظيفتها الاجتماعية ، حدد كما قلنا ، وعلى امتداد مراحل تاريخية طويلة ، تشابها في الايديولوجيات للقوى المختلفة والفئات التي استلمت السلطة او تصارعت عليها ، وهي قوى يصعب تحديد طبيعتها الطبقية وفق الصيغ الاوروبية للماركسية . انها قبائل ، تجمعات اثنية ، جنود في اساسهم عبيد ومماليك . وفي حال المذاهب الشيعية الباطنية : فلاحون ينتظمون في مجموعات « قروية » ريفية منكفئة على نفسها وفق تنظيم قبلي متماسك . لكن في هذه الحال تجعل «التقية» وازدواجية الحقيقة بين ظاهرها وباطنها (من اجل الضرورات الامنية لهذه المجموعات) ، تجعل من التاريخ تمثلات تختلط فيها الرموز بالتمويهات ، وبذلك تنشأ ايديولوجية تجريدية غيبية شديدة الانفصال عن الواقع .

اذا كانت هذه الايديولوجيات ، الرسمية منها والمعارضة ، تغيّب الواقع الفعلي ، اي تهمل وصف حركته فلا تعكس واقع الفئات الاجتماعية ولا تعبر عن مصالحها وتناقضاتها ، فهل يعني ذلك خلو حركة التأليف التاريخي العربي من مؤلفات تعكس صور الواقع المادي بشكل عناصر ومواد عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب ؟

تواريخ « الامصار والمدن » وكتب الادب والخراج والجغرافية :

ينبغي التأكيد هنا على ان الطابع الايديولوجي (الغيبي) ينطبق اكثر ما ينطبق على المؤلفات التاريخية العامة وعلى تواريخ « الفرق » و « الطبقات » والاسر الحاكمة ـ والتراجم ـ والسير . بيد ان بعض تواريخ الامصار والمدن و « الخطط » التي نشأت بفعل تفكك السلطة المركزية وبروز اهمية الاقاليم والمدن التجارية يعطينا انموذجا في الكتابة مختلفا ، من حيث غنى المادة التاريخية والاهتمام بالنشاط الاقتصادي .

وتقدم كتب الادب ايضا وعلى راسها كتاب « الاصفهاني » (١) ، وكتب الجاحظ ، معلومات

---

(١) من خلال كتاب «الاغاني» للاصفهاني قامت الدكتورة نشأت الخطيب بوضع دراسة تاريخية للعصر العباسي ، يتخللها العديد من المعلومات الاقتصادية عن الاسواق والتجارة والموازين والاسعار . وسيقوم معهد الانماء العربي بنشرها قريبا .

Etude Historique de l'époque Abbaside à travers le Kitab al-Aghani. Thèse, Paris 1975.

ذات طابع موسوعي عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم . فهذه الكتب ببعدها النسبي عن الموقع الايديولوجي للسلطة ، وهو موقع يتشابه كما راينا في تمثل المنهج التاريخي سواء بالنسبة للقوى الحاكمة او القوى المعارضة ، استطاعت ان تفلت من وطأة ايديولوجية السلطة او ايديولوجية ادعاء « احقيتها » بالنسبة للقوى المعارضة . ذلك ان التاريخ هو المجال الاساسي كما راينا لاثبات هذا الحق ، عبْر « الخبر » و «الرواية» و « الحديث » و « السيرة » التي تدور كلها حول « الحق الشرعي » اي« شرعية » المطلب ارتكازا الى تمثيل « الدين » ، لا تمثيل الفئات الاجتماعية ومصالحها . اما الادب فلبعده النسبي عن هذا المجال (مجال اثبات « الحق الشرعي») فقد كان الصق «بالواقع»، فهو ، بوصفه للحياة اليومية وللظواهر الاجتماعية والاسواق والفئات والفعاليات المختلفة ، يشكل ــ وان لم يعتبر من « علم التاريخ » العربي ــ مصدرا تاريخيا مهما لكتابة التاريخ الاجتماعي العربي .

وتاتي كتب الرحلة والجغرافية والادارة والمال والخراج والحسبة ــ وان كان لها طابع رسمي في الاساس ــ على قدر كبير من الاهمية والغنى في مادتها التاريخية . فهي بسبب ارتباطها المباشر بمشروع بناء الدولة الاسلامية واجهزتها وسياستها الاقتصادية والاجتماعية تطرح صورا غنية عن التنظيم الاجتماعي بجوانبه المختلفة : توزيع الارض واقطاعها ومصادرتها ، طرق استثمارها واشكال الملكية ، الاسواق والحرف وتنظيمها ، اسعار السلع ومراقبتها ، الموازين والمقاييس .. الخ ..

والملفت للنظر ان هذه الكتب لم تصنف بين « كتب التاريخ » العربية القديمة . فما تطرحه «كتب التاريخ» في حيز ، هو حيز «علم الدين»، وما تطرحه الكتب الاخرى (الجغرافية والادارة والمال والخراج والحسبة) في حيز آخر هو : « تنظيم اقتصاد الدولة والمجتمع » .

والواقع ان موضوعات الكتابة التي عددنا بعضها تنخرط في عداد موضوعات « علم التاريخ » .. وانه ينبغي ان نعتبر كتبها من المؤلفات التاريخية فهي تتضمن عناصر التاريخ الفعلي وان لم تسم نفسها كذلك .

لكن، بالرغم من اهمية هذه الموضوعات التي طرحتها بصورة غنية كتب « الخراج » ، يلاحظ المستشرق فرانز روزنثال انها لم تتطور في الكتابة التاريخية العربية الا على يد ابن خلدون . يقول : « لا يوجد طريق مباشر يصل بين قدامة بن جعفر (صاحب كتاب الخراج) في القرن العاشر وابن خلدون في الربع الاخير من القرن الرابع عشر . فابن خلدون هو اول من حاول استخدام هذه العلوم مجتمعة وتسخيرها لدراسة التاريخ » (١) .

ظاهرة ابن خلدون والجبرتي :

كيف نفسر اذن ظاهرة ابن خلدون في الكتابة التاريخية العربية ؟ هل يعبر ابن خلدون كما

---

(١) فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ــ ترجمة احمد صالح العلي ، ص : ١٦٤ ــ ١٦٥ .

يرى عبدالله العروي عن « نظرة فردية خاصة » تتمثل في اشتمال مقدمته على «فلسفة التاريخ» بينما اسلوب « الرواية التاريخية » الذي تضمنه« تاريخ البربر » لا يختلف كثيرا عن اسلوب بقية المؤرخين القدامى ؟

لكن ، الا تخضـــع « الحالات الفردية » للتحليل العلمي والتفسير؟ اولم تتضمن «المقدمة» ايضا مادة تاريخية غنية ارتكزت اليها آراء ابن خلدون المنهجية و «الفلسفية» ؟.

والحقيقة ان محاولة ايف لاكوست تقدم تفسيرا جديا لهذه الظاهرة في اطـــار دراســة الحضارة العربية . فهو اذ يدرس التشكيلة الاجتماعية في شمالي افريقيا وما دار من صراعات سياسية في اطارها ، صراعات تمحورت حول مسألة بناء الدولة المركزية ، ومهمة توحيد شمالي افريقيا (وذلك بالاتصال الحميم مع تجربة ابن خلدون السياسية الغنية ، وبالاعتماد على تحليل نصه) ، يقدم المؤلف التفسير التالي : ان ابن خلدون هو نتاج مرحلة اتسمت بصراعات وتقلبات سياسية حادة في تشكيلة اجتماعية عاين ابن خلدون قواها وفئاتها (التجـــار ـ العلماء ـ القبائل) ، واشترك معها ممارسة (فكرا وعملا)،وهو ايضا نتاج تجربة شخصية غنية ، وهو فضلا عن ذلك نتاج ثقافة واسعة وتقميش هائل (١) .

وان تخلي ابن خلدون عن الحياة السياسية لم يدفعه للانصراف للتأمـلات الدينية ، وان يأسه من ان تؤدي الصراعات السياسية الى نتائج مرضية ، لـم يدفعه ايضا الـى الهروب نحـو « التنظير » لوصف « دولة مثالية » على غرار الفارابي .. انه تخلى عـن ممارسة السياسة « ليقوم بمهمة المؤرخ » كما يقول ايف لاكوست : « والذي سيدرسه ابن خلدون ليس فقط تتابع الاحداث التي طرأت منذ عدة قرون ، بل هو ايضا استمرار هذا التتابع في وقائع كان هو الشاهد عليها او القائم بها ايضا . » .. فهو « يبحث عـن تفسير للخيبات الشخصية .. وخيباته الخاصة ليست سوى مظهر مـن القلق الذي يعتري المفرب بأسره.. » . وهذه الخيبات **الخـاصة والعـامة** « ليسـت ضربـات مصير أعمى ومبهم ».. انه يريد الفهم من خلال البحث في دمج تجربته الشخصية بتجربة عامة اكثر اتساعا . « ان العزم على كتابة التاريخ انما هو حجز الانسان مصيره بالبعد السياسي والوعي بأن يكون موضوعا فعالا .. » (شاتليه) (٢) .

ان التحليل العلمي لظاهرة ابن خلدون ، تستتبع البحث عـن ظواهـر مماثلة مـن خلال الكشف عن الموقع الذي تتمفصل فيه الصراعات وانصبتها الايديولوجية والسياسية في مرحلة معينة من مراحل تحول التشكيلة الاجتماعية او اهتزازها . فعندما يرى وضاح شرارة فـي « الجبرتي » مؤرخ « النصاب السياسي » ويرى في نصه الفني عناصر التاريخ الفعلي التي تفلت من وطأة الايديولوجيا وتحويرها ، يستعيد ـ بناء علـــى تذكير الجبرتي ـ ابن خلدون .

---

(١) ايف لاكوست : ابن خلدون ، ترجمة د. ميشال سليمان ، ص : ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) اقتباسات من ايف لاكوست ، ص : ٧٢ ـ ٧٣ .

يقول : عندما يعدد المؤرخ ـ الجبرتي ـ مصادره فانه يستعرض اسماء عدد من التواريخ الجامعة المعروفة : فمن تاريخ الطبري الى خطط المقريزي مرورا بتاريخ ابن الجوزي وابن خلكان وابن الخطيب ... ولا يعلق الجبرتي على اي من التاريخ هذه بل يكتفي بالاشارة الى سهولة او عسر تناولها او عدد مجلداتها . ولكن ثمة استثناء يتعلق «بمقدمة» ابن خلدون . اذ ان المؤلف يشير عبر حديثه الى التاريخ الذي حرره المؤرخ المغربي فيقول : « ومقدمته مجلد على حدة ، من اطلع عليها فقد راى بحرا متلاطما بالعلوم ،مشحونا بنفائس المنطوق والمفهوم » . وهذه الملاحظة هي ملاحظة سريعة ، ولا تستوقف النظر الا لأنه يخص بها المقدمة وسط الاغفال الذي يعالج به المصنفات الاخرى . ولكنها ليست ناشزة ولا شاذة ، فاذا كان الجبرتي كما نظنه نحن اي مؤرخ النصاب السياسي مثلما « يعمل ويؤثر » ابان الحقبة التي تتناولها الوقائع ، فان ملاحظته حول ابن خلدون لا تعود عارضة . فابن خلدون هو الذي استخلص موقع النصاب السياسي في التشكيلات التي يطلق عليها سمير امين اسم « الشرقية والافريقية » وهو موقع قريب من الموقع الذي يصف الجبرتي آثاره ومفاعيله بدقة)(١) .

هل تخلو الكتابة التاريخية العربية اذن من نماذج كابن خلدون والجبرتي ، «مؤرخي النصاب السياسي» على حد تعبير وضاح شرارة ؟

يصعب الجواب على السؤال بالسلب او الايجاب . ذلك ان حركة التأليف التاريخي العربي القديمة والحديثة لم تدرس حتى الان الا دراسة بيبليوغرافية سريعة ، وقلما نجد دراسات تستهدف تحليل نصوص المؤلفات التاريخية تحليلا علميا واستخلاص غنى المادة التاريخية منها .

نحو البحث عن منهجية تاريخية « علمية » :

والذي نلاحظه على كل حال ، ان دخول المجتمعات العربية بعد القرن الرابع عشر (اي بعد المرحلة التي انجبت ابن خلدون كتعبير سياسي عن مأزق بناء الدولة الواحدة في شمالي افريقيا) في مرحلة من المراوحة والجمود والتفكك ، شكل مقدمة اخضاع التشكيلة الاجتماعية العربية بانماطها الانتاجية المفككة والذي نفرت فيه ـ حيال تقهقر التجارة العربية وذبول المدن ـ انماط انتاج زراعية شبه اقطاعية معزولة ومفككة في اطار مناطق ومجموعات قروية (عشائر واحيانا طوائف وملل) ، الى حاجات الماركنتيلية الاوروبية ثم الكولونيالية ، فالامبريالية في اوائل القرن العشرين .

ان حركة التأليف التاريخي خضعت بدورها لهذا الجمود ـ فبرزت مؤلفات التراجم والسير في العهد العثماني ، كتعبير عن استمرارية الايديولوجية القديمة للقوى الحاكمة وتعمق انقطاعها عن المستوى السياسي ، اي بعدها عن التقلبات السياسية والتحولات الاجتماعية

(١) د. وضاح شرارة : المسألة التاريخية في الفكر العربي الحديث ص : ٦٢ ـ ٦٣ .

الراهنة للوضع . فالمؤلفات تستعيد الاساليب والمناهج « العريقة » على يد « علماء المدن » ضمن دائرة ثقافية مدينية واحدة حفظت الثقافة العربية القديمة في « وحدة دينية » سلفية : « داخل دائرة العلم في حواضر المشرق العربي كدمشق ،والقاهرة ، وحلب ومكة والمدينة وحضرموت ، وبغداد وغيرها .؟ » (١) .

وحتى بعض المؤلفات التاريخية الصادرة عن نزعة « مللية » غير اسلامية ، كمؤلفات الدويهي (تاريخ الموارنة ، تاريخ الازمنة) تستعيد وبفعل الثقافة العربية القديمة السائدة في المدن (تأثير حلب بالنسبة للدويهي) اساليب المؤرخين العرب القدامى ولا سيما اسلوب الطبري (٢) .

اما في المرحلة المعاصرة ، مرحلة الهيمنة الامبريالية والتجزئة السياسية التي ترسخت اقليميا بواسطة الدول « الحديثة » الناشئة ، فقد خضع التأليف التاريخي المعاصر **لايديولوجيات مختلفة ومعقدة التركيبات والمصادر ومتنوعة التمثلات** وفق المواقع الطبقية والطائفية والاثنية والاقليمية التي انبنت مع الهيمنة الامبريالية .

ولا يعني تشديد الدكتور عبد المنعم ماجد على « التهميش » الذي اقتبسه المؤرخ العربي المعاصر عن المنهج الغربي ، وعلى تنبيه الماركسية الى « اهمية العوامل الاقتصادية » (٣) ان ثمة تغيرا كبيرا قد حدث في المنهجية التاريخية العربية في المرحلة المعاصرة . فالمؤلفات التاريخية المعاصرة ، باستثناء قلة منها ، بقيت اسيرة الانقطاع الموهوم بين الايديولوجيا التاريخية (الموروثة) التي تجعل من التاريخ « احداثا » معزولة تروى بصورة « خبر » ديني ، وبين التاريخ الفعلي بقواعده واسسه ومظاهره المادية المعقدة . ولنلاحظ هذا الانقطاع لدى الدكتور ماجد نفسه الذي يدعو الى « التجديد » في الكتابة التاريخية . . اذ يقول في المقالة نفسها : « حقا ان ماركس وانجلز هما اللذان ابرزا التفسير المادي ، ولكن أيا منهما لم يتعرض للتاريخ الاسلامي، الذي هو قطاع في التاريخ مختلف عن القطاع الاوروبي ، **كما ان الاقتصاد وان كان هو الذي يحرك كل شيء في عصرنا الا ان الدين كان هو المحور المهم في العصور الوسطى ، وكل شيء يدور في فلكه** . ومع ذلك ، فان مؤرخي الاسلام يجب ان يتحرروا الى حد ما من الارتباط البيئي والديني ، اذ ان المؤرخ جزء من عصره ، وان معنى التاريخ في اي زمن ، هو الزاوية التي ينظر منها الى مجتمع في زمان ومكان محددين ، وذلك دون القطيعة طبعا مع البيئة ، والا وجد معارضة شديدة من رجال الدين المتزمتين في الشرق وهم كثيرون » (٤) .

وبالرغم من دعوة المؤرخ الى ان تولى «العوامل الاقتصادية » اهمية او « التفاتة » ما ،

---

(١) د. احمد طربين : التاريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث ، ص : ٢٠ .

(٢) د. نقولا زيادة ، ابعاد التاريخ اللبناني الحديث ، ص : ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٣) الدكتور عبد المنعم ماجد : رئيس قسم التاريخ في جامعة عين شمس ـ في بحث قدمه الى المؤتمر التاريخي الاول الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٥ ـ بعنوان : « مفهوم التاريخ الاسلامي في العصر الحديث » .

(٤) المصدر السابق .

يستدرك الدكتور ماجد فينبه الى ان التاريخ الاسلامي هو غير التاريخ الاوروبي ، والى ان الدين هو الذي يحرك التاريخ في القرون الوسطى ، والى انه في وقتنا الحاضر يجب ان نقيم اعتبارا للمتزمتين من رجال الدين .. اذن ، ماذا يبقى من الدعوة « التجديدية » في كتابة التاريخ غير « التهميش » الذي حل محل « الاسناد » ؟ الموضوعات ، المضمون ، حيز الدراسة التاريخية.. كلها تتحدد وفق « قناعات » تشترك فيها شتى الايديولوجيات العربية السائدة وتحددها «سلفا» قبل استقراء مواد التاريخ الفعلي ووثائقه وآثاره ، وهي « قناعات » تدرك « اهمية الاقتصاد » عند « الغير » وفي « العصر الحديث » ، لكنها تصر على استبعاده من « الماضي » ومن « عندنا » حاضرا وماضيا !

لا يسعنا في هذه المقالة السريعة ان نقف عند نماذج من المؤلفات التاريخية العربية لتعيين مواقعها الايديولوجية . فنكتفي باستعادة التصنيف الذي يقدمه الدكتور قسطنطين زريق لاتجاهات الكتابة التاريخية العربية المعاصرة والذي يرى ان ثمة امكانية لرصد اربعة اتجاهات : ١ ــ الاتجاه التقليدي (السلفي) ؛ ٢ ــ الاتجاه القومي ، ٣ ــ الاتجاه الماركسي ، ٤ ــ الاتجاه العلمي .

بيد ان الدكتور زريق يستدرك فيقول : « .. ان المجاري الاربعة التي وقفنا عندها وسواها تتفرع وتتحد وتتباعد وتتلاقى وتتنافر وتتجاذب بتأثير قوى الحياة المتحركة المتدافعة. فالتقليد والقومية والماركسية والموضوعية العلميةلا تنفصل بعضها عن الاخر بحواجز وسدود ، بل تتلاقى وتتصادم وتتفاعل فيما بينها في كل وجهمن وجوه حياتنا وتفكيرنا . » (١) .

اذن من الصعب الباس اي من المؤلفات صفة ايديولوجية قاطعة او صفة « علمية » مطلقة... والدعوة نفسها التي يطلقها الدكتور زريق لتبني « الاتجاه العلمي » لا تكفي لضمان كتابة التاريخ بمنهجية « علمية » فعلا . فهو على حق حين يرفض التعليل التاريخي « الغيبي » ، كما هو على حق حين ينتقد « النظرة القومية » في « رومانسيتها » واغفالها للتأثيرات المتبادلة بين المجتمعات ، وهو على حق ايضا حين ينتقد تمثل الماركسية **ايديولوجية اقتصادوية** كما قدمها « مؤرخون رسميون ستالينيون » او ايديولوجيون عرب . بيد ان كل هذه الاتجاهات « الايديولوجية » تختبىء وراء يافطة « العلم » في وقتنا الحاضر . فاذا كان « العلم » هو العلم « الوضعي » الاوروبي الذي هو طرائقية « تجريبية»(Empirisme) ، يصبح من السهل«تطويعه» عن قصد او عن غير قصد للموقع الايديولوجي في اوضاعنا العربية بحيث يصبح مقياس «العلمية» **حجم** «التهميش» **وعدد** الوثائق .. لا موضوعاتهاومضامينها وكيفية استقرائها .

هل منعت قواعد « العلم » و «اصوله» مؤرخا كبيرا ينتسب الى « الاتجاه العلمي » الذي يدعو له الدكتور زريق ، وهو الدكتور فيليب حتي في ان يخضع **العمل** التنقيبي والوثائقي للموقع الايديولوجي الذي ارتكزت لـه دعـوات « الاقليميـة » و « الفينيقيـة » و « الكيانيـة »

(١) د. قسطنطين زريق : « نحن والتاريخ » ص : ٤٥ .

اللبنانية » ؟ ان كتاب « لبنان في التاريخ » لفيليب حتى هو محاولة للبرهنة على « صحة » هذه الدعوات من خلال «الاسقاط» و «التحوير» بمنهج «تجريبي» و « **شكل علمي** » .

وهنا بالذات يكمن الفارق بينه وبين الدكتور قسطنطين زريق . فالدكتور زريق ينطلق من هموم « العالم الوطني » الذي يبحث عن طريق خلاص « أمته » : تحررها ، تخطيها للتخلف، مساهمتها في الحضارة الانسانية وتطويرها .. تلك هي « الهموم » الايديولوجية (اذا صح التعبير) لكتاباته .. وهي « هموم » تنخرط في« مشروع سياسي » تقدمي ، ومن هنا ، وبسبب التزام هذه النظرة « بالواقع » وبمصالح القوى الفاعلة في التاريخ ، تستمد هذه النظرة علميتها وليس من مجرد عدد الوثائق وضخامة « التهميش » .

وزريق من المؤرخين العرب القلائل في وقتنا الحاضر ، الذين ينطلقون من اهتمامات سياسية تقدمية ، ومن احاطة منهجية غربية في آن معا ، بحيث تصبح كتابة التاريخ لديه « **ممارسة** » لتلمس الواقع وفهمه . وهو اذ يدرك حدود ما يسميه ، المؤرخون « التجريبيون » الذين «يحتكرون» معرفة «الحقيقة التاريخية»،بـ « الموضوعية » و « التجرد » ، يقول : «.. ان من أهم المؤلفات التاريخية ذكرا وابقاها أثرا تلك التي وضعها اشخاص ذوو معتقدات اساسية حية واحساسات واعية بمشكلات عصرهم ،وتأثير بمجرى الحضارة وتأثير فيه » (١) .

اذن لا يعود مقياس «العلمية» مجرد الانتساب الى الاتجاه العلمي ـ الاكاديمي ـ . **فالممارسة التاريخ** من موقع يسمح بفهم الواقع ، بمتابعة حركته ، بتعيين التناقضات وتحديد المصالح في مرحلة معينة ومجتمع معين ، هي التي تسمح « بصنع التاريخ » « صناعة » **تقترب من الواقع** اي من **التاريخ الفعلي** . وهذا الموقع هو **موقع سياسي** في نهاية التحليل يسمح بمتابعة الوقائع من زاوية فهمها ، وذلك **لفهم ومواجهة** مشكلات الحاضر (٢) .

وهنا لا بد من عودة الى موقف الدكتور زريق من « الماركسوية الاقتصادية » التي يدمجها مع الماركسية عامة . يحق لزريق ان يرفض فعلا في الماركسية تمثلها الايديولوجي الاقتصادوي. لكن الماركسية **كنظرية** ، من شأنها ان « ترشد »« **الممارسة** » في « صناعة » التاريخ وتغنيها بحيث تقوم علاقة جدلية غنية بين « الفرضيات » من جهة والبحث الميداني والتنقيبي من جهة ثانية (٣) ، علاقة يتكامل معها « الجهد العلمي » الذي يدعو له زريق بحرارة المؤمن بقضايا المصير والمستقبل للشعوب المقهورة . اذ بين العمل « التجريبي » الذي يترك المجال واسعا للتدخل الايديولوجي تحت ستار « التجرد » والموضوعية،وبين « التنظير » الذي يبنى على حد هزيل من المعلومات التاريخية ، ثمة طريق مختلف تتلمس معالمه دعوة « التجديد » في الكتابة التاريخية

---

(١) « نحن والتاريخ » ص : ٩٩ .

(٢) راجع: P. Vilar - Histoire mariciste, histoire en construction p. 171 - 172 - (Faire: de l'histoire, vol I.).

(٣) حول « الماركسية » و « الاقتصاد » بالنسبة للمؤرخ راجع مقالة Vilar المذكورة سابقا . ص : ١٧٩ ـ ١٨١ .

العربية . فلا « تنظير » وفق ماركسية ـ قوالب ولا غرق في « تجريبية » هي في نهاية التحليل مسرح للتمثل الايديولوجي من كل المواقع ،وبالتالي ، « للانحياز الضمني » .

يقول بليخانوف في مسألة « الانحياز » و « الحياد » لدى المؤرخ : « ... وحيثما يكون على المؤرخ وصف الصراع بين قوى اجتماعية متضادة ، فانه سيتعاطف حتما مع طرف او آخر ، ما لم يكن هو ذاته قد اصبح متخذلقا بفيضا ، ومن هذه الوجهة سيكون **ذاتيا** سواء تعاطف مع **الاقلية** او مع **الاغلبية** . لكن مثل هذه الذاتية لن تمنعه من ان يكون مؤرخا موضوعيا كاملا اذا لم يبدأ في **تشويه تلك العلاقات الاقتصادية الواقعية التي نمت على اساسها تلك القوى الاجتماعية المتصارعة** » (١) .

مختارات من مراجع البحث

ـ د. عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ـ بيروت ، ١٩٦٠ .

ـ عبد الله العروي : العرب والفكر التاريخي ـ بيروت ، ١٩٧٣ .

ـ ايف لاكوست : ابن خلدون ، ترجمة الدكتور ميشال سليمان ـ بيروت ، ١٩٧٤ .

ـ الدكتور عبد المنعم ماجد : مفهوم التاريخ الاسلامي في العصر الحديث ، بحث مقدم الى المؤتمر التاريخي الاول ـ الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٥ .

ـ الدكتور قسطنطين زريق : نحن والتاريخ ، بيروت ، ١٩٦٣ .

ـ فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ـ ترجمة د. احمد صالح العلي .

ـ د. وضاح شرارة : المسألة التاريخية في الفكر العربي الحديث ـ بيروت ، ١٩٧٧ .

ـ د. احمد طربين : التاريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث ، دمشق ، ١٩٧٠ .

ـ د. عثمان موافي : منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الاوروبي ، الاسكندرية .

ـ د. السيد عبد العزيز سالم : التأريخ والمؤرخون العرب . الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

ـ د. طريف الخالدي : دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي ـ بيروت ، ١٩٧٧ .

ـ احمد علبي : الاسلام والمنهج التاريخي ـ بيروت ، ١٩٧٥ .

ـ الدكتور نقولا زيادة : ـ الجغرافية والرحلات عند العرب بيروت ، ١٩٦٢ . ـ ابعاد التاريخ اللبناني الحديث .

ـ بليخانوف : تطور النظرة الواحدية الى التاريخ ، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

— Faire de l'histoire, Sous la direction de Jacques le Goff et Pierre Nara T.I., Paris 1974.

(١) ج. بليخانوف : « تطور النظرة الواحدية الى التاريخ » ص : ١٨١ . ترجمة محمد مستجير مصطفى ، دار الكاتب العربي ـ القاهرة ، ١٩٦٩ .